لميس عيّاشي

ضربات لا ترحم

نسمة للنشر والتوزيع

لميس عياشي

ضربات لا ترحم

(الطفولة البائسة)

(مرض دوفيك)

(جوري والأسد)

نسمة للنشر والتوزيع

العنوان : ضربات لا ترحم
المؤلف : لميس عياشي
عدد الصفحات: 80
الحجم : 14 / 20 سم
ISBN : 978- 9931- 9901- 7- 8
DL : Novembre 2022

5 نهج سايغي أحمد سيدي مبروك قسنطينة
Tél: 07 77 75 90 52
E.mail:editionnessma@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

© يمنع منعًا باتا وتحت أي صفة إعادة طبع هذا العمل بدون إذن الناشر

© منشورات نسمة 2022
ISBN : 978- 9931- 9901- 7- 8
DL : Novembre 2022

توطئـة

تبدو الحياة كلعبة من جولات متعدّدة، تبدأ الجولة الأولى وأنت جاهز متأهب، تحمل معك كل الأسلحة المتاحة لتواجه أعنف تحد، ضربات الكون القاسية.

وبعد صراع مرير تخرج من تلك الجولة تتصبب عرقا، ويقطع الإرهاق أنفاسك، تقف على قدميك مرتعشا من فرط ما لاقيت وتحملت.

صحيح أنك انتصرت، إذ الهدف من تلك الحرب هو أن تتعلم درسًا من دروس هذا الكون، لتصبح أنضج وأكثر حكمة..

لتدخل مجددا في حرب أخرى وتتلقى دروسا تلو أخرى، لتستمر الضربات فيتعلم الشخص الأقوى الدرس الأصعب!

* * *

الطفولة البائسة

فتحت «لوسيانا» البريئة عينيها طاردة سنة النعاس، فإذا بها تسمع صوت والدها ينادي:

- "لوسيانـــا" نظّفي المنزل، ثم حضّري الغداء.. إن زوجتي قادمة..

تسمع الفتاة الصغيرة لما يقول والدها باستغراب شديد، ولا تبالي بمدى القسوة في كلامه، أو ربما لا تعرف شيئا..

كانت ككائن بريء جاء من كوكب آخر، صبية تسكنها روح طفوليـة، لم تكـن تعلـم أنّها البدايـــة لحيـــاة خيالية كحياة سندريلا..

تشير عقارب الساعة إلى العاشرة وعشر دقائق، يفتح باب المنـزل لتدخـل "فانا" بقدمها اليمنى تصديقا للخرافة، يملؤها الرعب، ومعها تلك الجارة التي تتلاعب بالكلمات قائلة بكل ثقة:

- «لا تخافي يا ابنتي، الثالثة ثابتة».

نعم لقـد كانـت الزوجـة الثالثـة لوالد "لوسيانـــا" المِزواج المِطلاق.

تقدمت "فانا" نحو "لوسيانا" بخطوات هادئة، وراحت تهمس في أذنها بصوت خافت:

- «أنا والدتك الجديدة»!

لقد قال قبل وفاته (صلى الله عليه وسلم): «رفقا بالقوارير». وقال -أيضا-: «لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات»، وقال -أيضا-: «استوصوا بالنساء خيرا».

والدها هشّم فؤادها، ولم يهتم بمشاعرها طرفة عين، ضاربًا عرض الحائط بالوصية النبوية لخير البرية!

ومن هنا تبدأ أول العقد النفسية لـ"لوسيانا"، تُجاه والدها، حيث بدأت تتشكّل شيئا فشيئا صورة مشوّهة عن أبيها.

ولم يمضِ أسبوعان فقط حتى شرعت زوجة أبيها في تحميلها مسؤولية البيت:

- «تناولي المكنسة وابدئي في تنظيف المنزل أيتها الحمقاء»!

بقيت "لوسيانا" مندهشة من براعة هذه الزوجة في أداء دور الشريرة التي تؤلّب الأب على ابنته.

لقد أدركت حينها كما لم تفعل من قبل أنّ حنان الأمّ لا يعوض، وألا أحد يمكنه أن يملأ الفراغ الذي قد يخلفه غيابها.. إنّ هؤلاء الذين يتقنعون بأقنعة من دخان لا يلبث الزمن أن يكشف زيف تلك الأقنعة؛ قد تؤخر تلك المظاهر ظهور الحقيقة، لكنها ستظهر ولو بعد حين.

يختنق الفضاء كل ليلة قهقهات والد لوسيانا وزوجته، إنها خناجر صفيقة تشقّ السكون المخيّم، في الوقت الذي تكابد الفتاة المستسلمة وحشة الليل وقسوته.. لا أحد هنا يؤنس وحدتها سوى لسعات البرد وزمجرة الزمهرير بعيدا عن أعين البشر.. ها هي تعدّ النجمات المعلّقات في أديم السماء نجمة نجمة إلى أن تبلغ آخر رقم تحفظه.. إن الأعداد تنتهي لكن النجوم لا تنتهي.

تُحدّث نفسها:

أنا حزينة بعدد نجوم السماء، حزنٌ يتجاوز كلّ الأرقام.

ثم انطلقت تسحّ الدمع بغزارة، كأنها نزيف شلال هادر، مناجية ربّها:

أيا خالقي! إنّ حزني بلغ مداه، وإنّ حرقتي بعدد حبّات رمل شاطئ الأحزان.. ربّاه أغثْ فؤاد هذه الفتاة المحطّمة...

قفلت إلى المنزل مجدّدا، وهي تمدّ الخطوات ببطءٍ شديدٍ، لتتوقف بمقربة من والدها. يتفحصها بنظرة سريعة، فيلمح دموعها تنهمر من على خدّيها.. يتجاهلها.. ثم يأخذ بيد زوجته وبصوت مرتبك يدعوها:

هيّا "فانا"! لنذهب إلى مخدعنا!

توجهت "لوسيانا" إلى غرفتها متمتمة بهذه الكلمات:

- «يا ليت نبضات قلبي تتوقّف! يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا.. أين أنت يا أمّي؟! لقد تأذيت بما فيه الكفاية.. لقد ذرفت الدمع وتضاعفت آلامي، في بعدك عني.. ليت ذلك الطائر الأبيض الجميل يحملني إليك لأنتهي في حضنك، وتزول عني كل الهموم».

بين أمّ وابنتها حبلُ وصال ورباط رباني، أخذ هذا الوالد القاسي مقصًّا وقطعه.. أرأيتم طفلا في براءة الصبا يستطيع العيش من دون أمّه.. إنّه أصعب امتحان موجّه من الكون!

"سيلينا" والدةُ "لوسيانا" امرأةٌ جميلةٌ، ومن عائلة مرموقة، بفكر شرقيّ. كان الزواج المبكّر هو الحلّ الوحيد للهروب من كلمات جارحة كالسهم تصيب سويداء القلب مباشرة.

قبيلتها متخلفة لا يعرفون عن محاربة ضربات الكون شيئا، وأنّ أكبر إنجاز هو تفادي تلك الضربات، يرون الأنثى كائنا خُلِقَ للقران والتكاثر، وأي امرأة لا تجري في هذا السبيل يُحكم عليها بالفشل. إنّهم يؤمنون بالقضاء والقدر والمكاتيب الربّانية فقط بالقول لا الفعل، ولحسن حظهم أنّهم ورثوا الإسلام وإلا لكانوا كفارا يضربون رقاب بعض.

في إحدى السنوات البائسات، تقدّم والد "لوسيانا" طالبا الزواج من "سيلينا". لمّا وقع بصرها عليه وقع منها موقعا حسنا، فرأت وسمعت، فأحبته بعينيها وأذنيها؛ لكنّ والديها كان لهم موقف مغاير:

- «لم ينـــل إعجابنـا يا ابنتي، إنه رجل مطلّق، وسمعته غير حسنة».

غير أنّ "سيلينا" أصرّت على رأيها ولم تذعن لهم، فتمردت عليهم.

للوالدين إحساس صادق، فحاستهم السادسة دائما نشطة، إذ الكلمات التي تخرج من أفواههم ما هي إلا إشارات ربّانية يجب أن تنفذ.

تزوجت به وقد كانت البداية لحياة الشقاء: كلمات بذيئة، ضرب، وشتم.. فالتقليل من شأن المرأة العربية، جعلها ذليلة مهانة، لقد كانت ليلى، في حين هو كان ذلك الذئب المراوغ المحتال. كانت هي فيكتوريا وكان هو الحاكم الظالم؛ لقد كان -وربّي- أسوأ رجـال العالم وكانت هي أجملهنّ وأرقّهنّ وأعذبهنّ.

كان رجلا عنوانه النرجسية، لقد سلبها المال، وحاز منها على الاهتمام، لقد كان أطفالها أغلى ما تملك.

كانت هي النهار وكان هو الليل، إنّها معجزة ربّانية: كيف للنهار والليل أن يجتمعا سوية، وقد ولّى زمن المعجزات؟؟ يبقى النهار مع الشمس في مكانه والليل مع القمر في مكانه، هكذا يقرّر المنطق؛ فهل من معارض ؟؟

وبعد معاناة طويلة عميقة، شاءت الأقدار أن ينفصلا. عادت "سيلينا" إلى منزل أهلها دون ابنتها "لوسيانا"، فقد افتكّها منها ليس حبّا في ابنته، وإنما ليحرق كبد الأمّ على ابنتها.

في البعد كانت "سيلينا" كالمجنونة تنادي في جوف الليالي:

- «ابنتي لوسيانا اشتقت لك، أين أنت؟! لقد هلكت في بُعدك عنّي، وأصبح وجهي من دونك عبوسا قمطريرا».

وفي إحدى الأيام، قامت «لوسيانا» بسرقة هاتف والدها، وشكلت رقما واتصلت «بسيلينا»:

- «ألو أمي لقد شفّني البعد الذي يحول بيننا.. بتُّ صديقة الليالي والظلمات.. صرت أجوع وأعرى، يقرصني البرد في كل جزء من جسدي.. أنقذيني أرجوك.. فأعمال المنزل التي توكل لي وحدي قاسية وأنا في عمر الزهور لا أقدر على أدائها».

ردت "سيلينا" على ابنتها بنبرة فيها قهر:

- «لا تخافي ولا تحزني إنّ الله معنا! انتظريني يا بنيّتي، ورغم الصعاب سأتحداهم.. الأمر يبدو مستحيلا لكنْ في سبيل التئام الشمل، سأجعله ممكنا يا صغيرتي».

في اليوم الموالي اتّجهت "سيلينا" مباشرة نحو المحكمة، تطالب بتطبيق العدالة وعودة ابنتها إلى حضنها. وحسب القانون وعدالة الأرض فإن الأمّ هي الأولى بحضانة طفلها.

أعلن القاضي أن الحضانة من صالح «سيلينا».. كلما تذكرت أن من الممكن أن تتناول ابنتها الغداء معها، ازدادت عزيمة وإصرار..

إنّها تتحوّل إلى نمط محاربة، عندما يتعلق الأمر بشيء تحبه.. سيدة العالم.. قالت بصوت فيه شموخ:

- «سهام! الحياة القاسية أحملها فوق ظهري وفوق ظهر ابنتي مثل حقيبة مدجّجة.. أبكي أنا وتفرح هي.. لي الألم ولها الرفاهية والراحة.. لي المصائب والبوائق ولها النشوة والفرح.. ابنتي في حماية الخالق ورعايته، أمّا أنا سأحارب الكون من أجلها..».

ذهبت "سيلينا" إلى منزل طليقها بخطوات ثابتة، تذكر كل ما حدث معها. وعند وصولها طرقت الباب بقوة.. في تلك اللحظة، كانت "لوسيانا" في غرفتها، تقدمت نحو البوابة قائلة:

- «من هناك».

- «سيلينا»

- «أنا والدتك يا صغيرتي»

وراحت تبكي. فتحت "لوسيانا" الباب بسرعة، وهي تصرخ:

- «لقد استجاب خالقي إنها أمي..».

إنها أجمل لحظة في الحياة وأكثر حضن صادق بريء.. قبلتها وقالت:

- «أمي أنا خائفة من العالم، خائفة من البشر، أنا الآن أختبئ في حضنك.. أنت قوية.. أمّا وأنا في حضنك وبين يديك، فلا أخاف العالم.. الآن عدت إلى دياري أنت داري يا أمي».

ثم جاء والدها.. تفاجأ "بسيلينا".. قالت له ودمع الشوق في عينيها ممزوج بلهيب الكره:

- «اليوم في هذه الساعة واللحظة بالذات.. سأستعيد ابنتي، وأصطحبها معي. أنت حقا أسوأ رجال الأرض.. لو كنت أبا صالحا فقط، لكنت مستعدة لأضحي بنفسي وأتغاضى عن كونك زوجا سيّئا.. إلا أنك لا تحترم العلاقة فرحت تدنّسها. أتحسب ألن يقدر عليك أحد.. لا.. إنّه من فوق السماوات السبع يسمع ويرى.. للكون أعين ترانا في كل وقت وحين، نحن مراقبون يا هذا.. ستُجزى بما فعلت يوما ما صدقني..».

غادرت "سيلينا" وهي تبكي من شدة الشوق لابنتها "لوسيانا"؛ قالت "لوسيانا" لوالدتها وقد انتصف الطريق:

-»أمّي لكل أكلة مكوّن سري يجعلها مميّزة ولذيذة.. أنت هي المكوّن السري للعالم، لتجعليه أرقى وأعظم».

ضحكت "سيلينا" ثم قالت:

- «إن العالم حيادي صامت، ورب الكون يحمينا لوجود الاطفال في هذا الكون.. فيكم طهارة ونقاء وعفوية لم تلمسكم أوساخ الدنيا بعد، أنتم ملائكة يا صغيرتي».

وصلت "سيلينا" إلى منزل والدها، فإذا بوالدها يتقدم نحو "لوسيانا" ليقول لها:

- «أهلا ومرحبا بك.. من أنا يا طفلة»؟

قالت له:

- «لم أرك منذ زمن؛ لكن الأرواح رغم البعد تتواصل.. أنت جدي صايلاك».

ثم تقدمت مهرولة نحوه، حضنته وقبلته، ثم قالت:

- «لا تتركوني مرّة أخرى، إنّ البعد عنكم قد قتلني.. مثل صديقتي التي تبكي دائما لأنها مريضة لا يمكنها تناول السكر.. أنتم يا جدي سكري فلا تتركوني».

كبرت "لوسيانا" في منزل جدها وفي كل سنة كانت تزداد يقينا أن الأقارب صدقا عقارب. كل بني آدم على وجه الأرض هو كائن ضعيف، هو وحده القوي من يملك الهيبة والجبروت؛ لكنهم كانوا يعتقدون أن السلطة في أيديهم، كانوا يفرضون قوتهم الضعيفة -فقط- علي بنات حواء "لوسيانا" و"سيلينا".

لم يكن الجد «صايلاك» مثل البقية، كان يناديها ابنتي.. حلوتي.. صغيرتي.. ويشتري لها ألذّ المأكولات وأفخم الثياب، لقد كان العوض الجميل لها.

وفي يوم حزين بائس توفي جدها، بكت عليه كثيرا وصاحت:

- «لقد كنت سندي، كنت عوضي الجميل، ذهبت وتركتني.. من يحميني الآن؟ أتتركني لذلك الذئب ليشرب من دمي؟» .

وبعد رحيله قالت "لوسيانا" لوالدتها:

- «فلنغادر هذا المنزل، فبعد رحيل جدّي عن الدنيا لم يبق فيه سوى أشخاص لا تحترم ذكراه.. لقد تحولوا من بعده إلى ذئاب بشرية».

لقد كانوا يلقون الكلام عبثا، وقالوا فيهم ما ليس فيهم.. أفعال في الخفاء لكنه سبحانه يعرفها.. كانوا يزعمون أن قوتهم تستمد من ضعفهما.

وفي ليلــة من الليالي اجتمعــوا واتفقـوا على طردهم خارج المنزل.

قالت "لوسيانا" لوالدتها:

- «في ضعفنا لجأنا إليهم، أليس اللجوء إلى غير الله مذلة».

قالت:

- «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب.. ويروننني يحسبونني صامتة وأنا أخبره بكل شيء.. سيأتي يوم سيأتونني راكعين ساجدين لأغفر لهم حينها قسما بربي لن أغفر.. لو يأتونني حاملين الكون بين أيديهم لن أغفر.. سنلتقي عند رب العباد يوما ما في جلسة عادلة.. لقاء بين إنسان وذئب مراوغ محتال.. فقط سأقول حينها لن أغفر..».

في صبيحة اليوم الموالي جمعت «سيلينا» أغراضها وأغراض ابنتها ثم قالت:

- «إخوة يوسف رموه في البئر، وقالوا لقد أكله الذئب.. ليس غريبا ما فعلوه إخوتي لست أول امرأة تهان من قبل أهلها.. والله العزيز الجليل يقول: ﴿**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**﴾؛ فلنهاجر يا ابنتي.. عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده».

قبل وفاة الجد "صايلاك"، كان قد اشترى منزلا "لسيلينا" كأنّه كان يعلم ما تخفيه الأيام من مفاجآت.

الآن "لوسيانا" أصبحت أقوى وأكثر نضجا وحكمة، لا تخاف ولا تخشى شيئا.

كبرت وأصبحت لا تصدق تلك الأعمار التي تدوّن في السجلات. فكم من فتاة عشرينية بروح تتحدّى من احتل البياض شعرهم.

وهي في طريقها إلى منزلها الجديد، صادفت كلابًا وعصافيرَ، فراحت تحدّثهم بصوت منخفض:

- «من شيم الكلاب الوفاء، والعصافير ترمز للسلام. سأعمل جاهدة من أجل أن أكون أكثرهنّ وفاءً من أجل أن أصل إلى السلام الداخلي. كانت طفولتي قاسية، حرب فيها دمار وخراب. سأعمل جاهدة لرسم الابتسامة على وجه كلّ طفل.. هذا وعد مني إليَّ».

فالطفولة هي القاعدة الأساسية لبناء أشخاص متوازنين بفكر سليم، لكن "لوسيانا" على يقين من أن طفولتها جعلتها -رغم براءتها- الأقوى والأكثر وعيا، جعلتها تقول بكل ثقة:

- «للكون قواعد وحدود حرّم تجاوزها على بني آدم. حرّم على كل إنسان ظلم الأطفال والتمرّد على الطفولة».

وبكل ثقة قالت:

- «كان الابتلاء صعبا، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. منذ الصغر كانت نفسيّتي قوية، لقد فزت بهذه الجولة.. لقد انتصرت...».

أخيرا وصلوا إلى منزلهم الجديد.. حيث قامت «سيلينا» بفتح الباب وقالت لابنتها وهي مرعوبة:

- «نحن لوحدنا هنا، قد يأتي سارق أو قد يحدث شيء لا نقوى على التصرف معه».

فردت عليها "لوسيانا" وهي تبتسم قائلة:

- «إله الكون يحمينا.. لو اجتمع من في الأرض جميعا على أذيتنا، ما استطاعوا، لأن الخالق يحفظنا».

- «هذه المرة أنا من أقول لك لا تخافي».

قبلت "سيلينا" ابنتها وقالت:

- «لقد كبرت وازددت وَعْيًا يا صغيرتي.. إنّه كان وعده مأتيا.. أليس كذلك؟.. وقد وعدنا أنه من يصبر ستأتيه هدية صبره يوما ما، ونحن يا ابنتي قد صبرنا.. فلندخل..».

لقد كان المنزل مليئا بالغبار، والحشرات الزاحفة والطائرة، وكائنات غريبة.. منزل مهجور لم يقطنه أحد من قبل.

قامتا سوية بتنظيف المنزل ومسح ذلك الغبار وإبادة تلك الحشرات حتى أصبح نقيا طاهرا.. وحياتهم صارت يوما بعد يوم مستقرة.

وفي جوف إحدى الليالي المظلمة نظرت «لوسيانا» لساقيها ثم قالت:

- «في الخارج هناك أشخاص لديهم ساق واحدة لكنهم قالوا لقد رضينا. يعيشون الحياة بكل معانيها.. لقد تركني أبي، وأنا لا أملك سوى أمي وعينيها. أنا أملك ساقا واحدة.. وأنا مثلهم لقد رضيت.. لا يستطيع بني آدم البقاء في هذا العالم من دون رضى ولقد رضيت».

ثم اتجهت إلى غرفة والدتها التي حضنتها بقوة ثم قالت:

- «أمي أنا مريضة».

ردت بخوف قائلة:

- «ما بك يا ابنتي».

قالت "لوسيانا" وهي تبكي:

- «أعتقد أني سأفقد البصر، أصبحت لا أرى شيئا إلاك أنت. أراك أجملهن، أراك كائنًا لم يخلق الرحمن مثله.. هل أنا مريضة بهذا الشكل؟؟».

ردت "سيلينا" وهي تلاعب شعر ابنتها:

- «كل فتاة ترى أن والدتها هي الأجمل، نظرك ممتاز ونظرتك للأمور متوازنة، إنّك عالية البصر والبصيرة وفيك من المشاعر الكثير».

إن العلاقة بين الطفل وأمه لا دين لها.. تختلف الأديان وتتعدد، وتبقى هذه العلاقة محفوظة مقدسة.

قالت "لوسيانا" لوالدتها والدموع تتراقص في عينيها:

- «هناك أطفال فقدوا أمهاتهم، أعتقد أن الفقد هو الابتلاء الأشد والأصعب. كان الله في عونهم، أنا أشعر بهم وتؤلمني دموعهم.. أنا حقا أشكر خالقي على نعمة الأم، حفظك الرحمن يا لؤلؤتي»..

ردت والدتها قائلة:

- «..حتى لو كبرتي واشتعل الرأس شيبا، سأناديك صغيرتي.. صغيرة في نظري مهما كبرتِ يا حلوتي..».

انتشرت الحمى بشكل كبير بين الأطفال والمراهقين في تلك القرية. وشاء القدر أن تصاب "لوسيانا" بحمى مرتفعة، عرق يسيل أنهارا، أرادت هجران رقعتها.. يعتريها برد وقشعريرة..

وفي الضفة الأخرى كأن والدتها هي من استهدفها المرض، كانت تبكي وتتألم كأنها في سقم لا علاج له..

قالت لها:

- «يا ابنتي لقد تقاسمنا كل شيء في هذه الحياة حتى المرض، سأعينك عليه.. أنا سوف أتألم مكانك لا تخافي».

ساعدتها على الاستحمام بمياه دافئة، وقدمت لها أدوية ومشروبات ساخنة، وسهرت معها ليلا طويلا لم تتركها.. كانت ملاكا يحرسها.

في اليوم الموالي استفاقت "لوسيانا" من نومها، لتجد والدتها بصدد احتضان يديها وتقبيل وجنتيها وتلمّس كلّ جسدها..

فإذا بها تصرخ بفرحة قائلة:

– «لقد اختفت الحمى يا ابنتي.. يا لها من عدو مشاغب، تثير الرعب والحزن في الأجواء، ثم ترحل كشخص جبان يهدد بالقتل ثم يغادر تاركا خلفه الضحية مرعوبة من الكلمات.. لكنك الآن تبدين بخير، هذا يعني أنني بخير».

وتمضي الأيام، وتذهب "لوسيانا" إلى المدرسة، لتتلقى علوما مختلفة، فيتسع فكرها، وهي على يقين أن مدرسة الكون أرقى من كل المدارس.

في حين أن "سيلينا" تعمل داخل وخارج المنزل، لتضمن حياة مستقرة لأميرتها الصغيرة.

إنّ ضربات الكون التي تجعل أنفاسك تتباطأ وكذلك الابتلاءات الصعبة، أصبح أمرا أمر مألوفًا عاديًّا، وما يثير الشفقة هو أن يخسر المرء الجولة.. من العادي أن تسقط، لا حرج قم -يا صديقي- مجددا.. فالنضج والحكمة والقوة لا تأتي من العدم.

هناك أشخاص كل سنة يكبرون عاما، أمّا المميّزون فقط يكبرون ألف عام في السنة!

عاشت لوسيانا مع والدتها، وهي الآن قد كبرت، وأصبحت تقدّس الطفولة وتقدس كل أمّ في العالم.

قالت لوالدتها:

- «نحن في مكان جديد، أقدم لك على طبق من ذهب وفضّة حبّي واحترامي، يليق بفخامتك أن تكوني تمثال صُمِّم للعبادة».

وعاشت "لوسيانا" مع والدتها في أمان، وهي تعتقد.. لا! بل متأكدة من أنها مع أقوى شخص في العالم.

هناك قصص طفولة لأشخاص مثل قصة "لوسيانا"،

وهناك من أصابه المرض وهو صغير، يبكى ويتألم ويتعذب، ليالٍ طوال وهو في المستشفى، أدوية مع ألم. وهناك من أصابه في صغره مرض فتّاك، فقد الأمل في العيش، فكره الدنيا وما فيها وهو لم يذق حلوها بعد!

في الضفة الأخرى طفل عانى من الفقر والحرمان، يجلس بقهر في الشوارع يترجى الناس أن يتصدقوا عليه بقطعة رغيف، وقليل من الماء...

وهناك أطفال صغار جاؤوا إلى هذا العالم، وفتحوا أعينهم على حروب ودمار. فالناس تتقاتل والدماء تسيل...

تعدّدت الظـروف لكن النتيجة مشتركة، دموع ويأس وفقد وحرمان...

أليس من واجب العالم حماية الطفل والطفولة، فضحكتهم جميلة لكنها ممزوجة بدموع وقهر وحزن.. كأنهم يقولون: هل من أحد هنا؟ هل من شخص طيب القلب في القبيلة يغيثنا؟ إنهم يطلبون الإغاثة..

نحن مع كل طفل في هذا الكون.. حياتنا لهم.. لو كنا نملك مقاليد العالم لوضعناها تحت تصرّفهم..

يا عالما يجعل من يشاء عقيما، فقولوا الحمد لله على نعمة الأطفال وكونوا لهم سندا.. جاؤوا إلى هذه الدنيا بكلمة منكم فكونوا مع الكلمة.

* * *

مرض دوفيك

"لوسيانا" هي فتاة مميزة، روحها جميلة جذابة، ويا لجمال عينيها..

نظرة بريئة ورمش حاد كالسيف قتّال، وسواد الكحل يفتخر بموطنه..

فيها من سيكولوجية الأنثى الراقية الكثير..

ترتدي الكعب العالي وتستمتع بألحانه، وهي تمشي كآلة موسيقية تريح مستمعها..

كانت رشيقة لتقول بكل نعومة إن الأنوثة في الرشاقة..

كانت تستيقظ مبكرا كل صباح تفتح شرفة غرفتها، لتستنشق نسمات الصبح الصافية وتريح فكرها بهدوئه.

ثم تتّجه نحو مرآتها، صديقتها السرية، وخازنة أسرارها..

تضع مكياجا فتّانًا يشعل ملامحها نيرانًا..

وترتدي ثيابها المختلفة الفريدة الأنيقة.. ثم تذهب إلى جامعتها على متن حافلة النقل..

هي فتاة مجتهدة تحبّ معرفة الأسرار والخبايا التي تحتضنها العلوم..

في أحد الأيام كان الجوّ ممطرا وباردا جدا.. وزميلاتها في نقاش حول فيروس جديد يهجم على العالم..

قالت "لوسيانا":

– «إنه مجرد كائن صغير لا يُرى بالأعين.. أيخاف الأسد ملك الغابة وسيد المحيط من ذبابة؟».

في تلك اللحظة ارتفعت أصواتهم وعمّ الضحك المكان.

لكن لا أحد كان يعلم أن تلك الغيمة السوداء في الطريق قادمة، وأنها على وشك الوصول لتصبح حديث العالم وساكنيه.

بعد تلقّي محاضرات غريبة لساعات طويلة، تخرج "لوسيانا" من القاعة وعلامات التعب والإرهاق تبدو على وجهها الجميل..

ودعت صديقاتها بأجمل الكلمات وأرقّ القبل..

لقد كان آخر يوم في ذلك الفصل..

إنه موعد العطلة الدراسية.. أيام معدودة يسترجع خلالها كلّ طالب أنفاسه بعد فصل طويل ودروس معقدة.

عادت "لوسيانا" إلى منزلها، ودخلت غرفتها ظنّا منها أنها سترتاح وستنام بهدوء، لكن للقدر رأي آخر وكلمته مسموعة رغما عنها.

كانت تحب قراءة الكتب والروايات ومعارضة بعض الأفكار، ولأنها أنثى راقية لطالما نظمت شعرا يصف ما بداخلها من ألم وفرحة ومشاعر.

كانت مميزة حقا، هناك من هنّ أجمل منها، وهناك الأسوأ، لكنها كانت مميزة إذ لم تكن مثل البقية..

ولأن محيطها هو محيط سام كتلك الأفعى التي تلتف حولك، تهدّدك بسمها الفتاك في أي وقت؛ فقد كانت تتجنّبهم، تهرب منهم إلى الحيوانات الطيّبة وإلى الأطفال الصغار منبع البراءة، كانت ثقتها بهم لأرواحهم الصافية.

وفي يوم بارد مليء بالرطوبة، شاهدت "لوسيانا" على شاشة التلفاز وسمعت أخبارًا مرعبة عن ذلك الفيروس الذي وصل إلى مدينتها حاملا معه حقائب من الهلاك واللعنة.

انتشر الرعب في قريتها، لا بل في العالم بأسره. أخبار سيئة يوميا مرض وموت.. نجاة وهلاك.. لقد قال ربنا: ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف**﴾.. كانوا في ابتلاء عظيم، وأصبح الجميع يقول إن الخوف مرعب وقاتل أكثر من الفيروس نفسه.

من شدّة قسوة الأخبار، قامت «لوسيانا» بتنظيف غرفتها، وأخذ احتياطاتها وهي خائفة ومتوترة.

وفي نفس اليوم اتصلت بها صديقتها قائلة إنه سيتم تعطيل الدراسة إلى وقت غير معلوم، وأن الجميع سيمكث في المنزل لبضعة أشهر.. لأن سهام الفيروس في الخارج في كل مكان. يجب علينا الركوع والسجود أو سنهلك.

خافت "لوسيانا" كثيرا وحزنت، مسكينة لم تكن تعلم أنها ستصاب بسهم لا دخل للفيروس فيه. سهم من عدو آخر مجهول بالنسبة لها لا تعرف عنه شيئا.

مكثت في غرفتها بضعة أيام، وفي إحدى الليالي حدث شجار بين أفراد عائلتها أصوات مرتفعة وكلمات قاسية حتى تدخل الجيران لحل النزاع، كان الحدث كبركان انفجر، ويا لقسوة تلك الليلة.

كانت دموع "لوسيانا" تسيل بلا توقف، حزنت كثيرا وتألمت كثيرا، وتسارعت دقات قلبها أكثر فأكثر..

ثم نامت من شدّة الخوف والحزن كفتاة صغيرة، قامت والدتها بضربها، وضربة الأحبة فتاكة، فأنزلت عينيها إلى الأرض.. لقد خاب ظنها، مما دفع بها إلى الهروب إلى النوم فقط أرادت الخروج من الواقع إلى عالم الأحلام، عالم خيالي لكنه الأفضل بالنسبة إليها..

نامت "لوسيانا" ليلا طويلا، وعندما جاء الصباح بنوره ونقائه مع صوت العصافير بألحان عذبة؛ فتحت عينيها لتجد صورة مرعبة، أحسّت بضبابية وازدواجية في الرؤية، كأن وميضا في عينها اليمنى..

كانت كلما تحرّك عينيها يمينا أو يسارا تشعر بألم قوي، لكنها لم تهتم قالت في نفسها:

- «ربما سيزول ما أصابها، ومن المؤكد أنه عرض من أعراض الحزن والبكاء، لأنني نمت وأنا في ذروة القلق والعصبية».

بعد ساعات قالت "لوسيانا" لنفسها:

- «سمعت كثيرا عن رواية البؤساء، وقد أثارت فضولي، سأقــوم بتحميلهــا على الهاتــف وأقرؤهــا.. تبـدو رواية راقية وجميلة».

لكن الغريب في الأمر أن "لوسيانا" كانت لا ترى جيدا، فقط غيوم وضباب. كان يصعب عليها القراءة، فرفَّة عينها اليمنى جعلتها ترى الكلمات تتراقص.

قالت ربما حدث ذلك لأن الغرفة مظلمة، فخرجت إلى شرفة غرفتها، لعلّ أشعة الشمس تجعلها أحسن، لكن عندما لامس ضوء الشمس عينيها أحست بالألم..

أول شيء قامت بفعله هو إغلاق عينيها، لأنها أحست أن الضوء يزعجها؛ قالت:

- «وا حسرتاه نمت وأنا أرى جيدا، وقمت وأنا عاجزة على القراءة وعلى لقاء الشمس سيدة النور».

ثم بكت من قوة الحرب المدمرة في عينيها؛ لكن هذه المرة كانت كلما تنزل دمعة تحسّ بحرقة كأن النيران اشتعلت.

أصبحت تتثاءب كثيرا، فتنزل الدموع، فتزداد النيران اشتعالا وتزداد الحرقة اتّقادًا..

دخلت غرفتها وجلست فوق فراشها، لكنها أحسّت كأن النمل يمشي على قدميها، تنميل في الأطراف مزعج يوحي بوجود مرض ما..

لكنها لم تهتم قالت ربما سأصبح غدا أفضل وسأتحسن..

جاء اليوم الموالي حاملا معه حقائب بها أغراضٌ جديدةٌ لم ترَها من قبل..

حدثت مشكلة بينها وبين أخيها، كانت تدافع عن نفسها بأعلى صوتها..

نقاش حاد وحوار عنيف، وفجأة أثناء الحديث تجد "لوسيانا" صعوبة في النطق والتلفظ، وكلماتها تتداخل، كانت المسكينة تتلعثم..

فقدت السيطرة على كل ما يخرج من فمها كأن شبحا استهدف المنطقة المسؤولة عن الكلام في الدماغ فدمرها..

هي أوّل مرة يحدث فيها هذا.. قالت:

- «ربما ذلك الفيروس اللعين استهدفني، لكن الأعراض توحي بوجود شيء آخر».

هرعت إلى حضن والدتها، إنه موطنها الحقيقي.. قالت لها:

- «يا ابنتي ما الذي يحدث؟ أنت لست بخير، فلنذهب إلى طبيب يعالجك».

ردت عليها:

- «لا يا أمي ذلك الفيروس في الخارج سيقتلني سيدمرني لن أذهب لن أكون فريسة له».

فجأة نهضت مسرعة أحست أنّها فقدت السيطرة على المثانة، هذه المرة لم تدخل الحمام في وقته الصحيح كالعادة..

كثرت الأعراض وازدادت، و«لوسيانا» في حيرة من أمرها، قالت:

- «إلى أين سأذهب أيّ طبيب ألجأ إليه يا إلهي».

وضعت السجادة وقامت بالصلاة لربها قالت:

- «أنت يا خالقي طبيبي وأنت من تشفيني.. إن البوابة مغلقة وأنت من تملك المفتاح فساعدني أرجوك».

نادتها والدتها لتغسل الأواني، فقامت «لوسيانا» إلى المطبخ كانت كطفلة تتعلّم المشي، فقدت التوازن، فراحت تمشي وتتكئ على الحائط..

دخلت المطبخ وبدأت بتنظيف الصحون، لكنها أحست أنّ يديها بلا قوة وكل شيء يسقط منها، عضلات جسمها أصبحت ضعيفة كشخص انتقل مباشرة من الطفولة إلى الشيخوخة.

كثرت الأعراض وازدادت تلك المسكينة خوفا، كأن عدوا شريرا كان يترقبها من بعيد، يختار الأسلحة الفتّاكة الأكثر قوة ثم يهجم عليها بخبث وحيلة..

لم تخبر والدتها بالأمر، فقط أخذت معها ما تأكل وذهبت إلى غرفتها، لكن ما يثير الرعب أكثر أنه كلما تدخل الطعام إلى جسدها، تشعر بالغثيان كأن جسمها كئيب مريض يرفض كل شيء.

أصرّت على الأكل لأنها جائعة، لكن جسدها معترض، فأجابها بالقيء وإخراج الطعام..

ظلت "لوسيانا" على هذه الحالة لأشهر حتى صارت ضعيفة وجسمها هزيلا، بأعراض غريبة لمرض غريب، ولأن تلك الأعراض قد كثرت وتعددت، أصيبت تلك البريئة بالحيرة واستسلمت لما هو قادم..

الأمر ازداد سوءا، والذهاب إلى الطبيب بات أمرا ضروريا..

أصرت والدة "لوسيانا" أن تأخذها إلى طبيب العيون أولا. قالت لها:

- «رغمـــا عنك يا ابنتي ستذهبيـــن معي.. ارتدي ملابسك بسرعة».

هذه المرة "لوسيانا" لم تضع مكياجها الفتان، كانت ضعيفة وبرحمة من ربها تتنفس. ارتدت ملابسها وخرجت.. لم تنظر في المرآة، ولم تهتم إذا كانت بمظهر جيد أم لا، فقط كانت مصدومة ممّا يحدث معها، وكيف لجسدها أن يتخلى عنها، كانت حزينة لأجله، إنه يتدمّر عضوا عضوا والسبب مجهول!

ذهبت مع والدتها وقد كانت لا تجيد المشي، فقدت التوازن وقوتها، حاولت لكنها لم تستطيع التحكم بعضلاتها، فقط أمسكت بيد والدتها وهي مرعوبة وخائفة على جسدها هاربة من ضوء الشمس المزعج.

وصلت بسلام وانتظرت موعدها، ثم قالت الممرضة:

- سيدتي، ادخلي إنّه دورك..

دخلت وأخبرت الطبيب بحالتها، فنظر إليها بملامح فيها حزن، كالذي يودع شخصا يحبه سيرحل بعد حين، أحسّت أنّ جسدها سيغادرها، إنّها النهاية.

قال لها:

- «لا تخافي! لكن هناك شيئا ما بداخلك يجب الكشف عنه».

- «كيف؟»

- «عن طريق التصوير بالرنين المغناطيسي».

لقد كانت "لوسيانا" مستعدة لفعل أيّ شيء من أجل معرفة هوية العدو الذي احتلّها، لكن والدتها رفضت قائلة لها:

- «مستحيل! فذلك الجهاز مخيف، إنه مكان ضيّق ومظلم مثل القبر».

وأصرت الأمّ على قرارها، لقد كانت مرعوبة ومتوترة، لأنها سمعت من قبل أن دخول ذلك الجهاز ليس كالخروج منه!

وما كان على "لوسيانا" إلا الصمت ومقاومة شيء مجهول.

رافقتها إلى عدّة أماكن وزيارة كثير من الأطباء، ولا أحد من هؤلاء، استطاع أن يكتشف طبيعة المرض الفتّاك، فقط أعطوها مهدّئات ومسكنات، واتّهموا ذلك الفيروس المسكين، قائلين ربما قد يكون هو السبب.

وظلّت "لوسيانا" تسير في دائرة مغلقة، تعبت من قطار المرض الذي يتوقّف كلّ مرّة في محطّة طبيب مغاير. كانت تقول:

- «لماذا المرض يجيد الاختيار.. يختار الأجمل والأكثر تميّزا.. يا لذوقه الراقي.. يفرض نفسه ووجوده رغما عن الفريسة، يا لشخصيته القوية».

ثم جاء قرار بالعودة إلى الدراسة بنظام معين وبقوانين معينة، ورغم مرضها المجهول وتعبها وضعف جسدها، نفّذت القرار وعادت إلى الدراسة..

حيث ذهبت إلى جامعتها مع صديقاتها.. ولقد استغربوا كيف تحولت "لوسيانا" من ملكة إلى خادمة ضعيفة هزيلة مريضة.

عند وصولها كانت تبحث عن مكان للجلوس، كانت تتجنّب كل صديقاتها، فهي لم تكن في وضع مناسب للضحك والأحاديث الطويلة.

عندما حلّت التاسعة، دخلت "لوسيانا" القاعة وهي مرهقة، كأنّ روحها تريد مغادرة جسدها.

ألقى الأستاذ المحاضرة وراح يشرح ما فيها، لكن "لوسيانا" لم تستطع التركيز فيما يقول.

لم تستوعب شيئا.. ضاقت أنفاسها وكانت تشعر بالإرهاق والتعب، رغم أنها كانت تجلس في مكان واحد دون حركة، لم تقم بعمل يسبب لها الأرق.

وعند انتهاء المحاضرة ظلت لوسيانا واقفة تنظر للدرج، كيف ستنزل فيه، كان الأمر كالحرب مرعبًا.. تحدٍّ مع المرض..

نزلت والجميع ينظر إليها وإلى طريقة مشيها، لكنها لم تهتم قالت:

- «أنا من أعاني، وما أنتم أمام المرض إلا عدم لا قوة لكم.. ونزلت أجل.. رغم أنّها كانت قريبة من الإعاقة، لكنها نزلت».

عادت إلى المنزل بسلام، قامت بتغيير ملابسها وفجأة ترى أنثى في التلفاز تمشي بالكعب العالي، لم يكن أمامها إلا إقفاله. لم تكن مستعدة للمزيد من الحزن.

لقد تذكرت نفسها في يوم من الأيام حيث تمشي بالكعب العالي كعارضة أزياء؛ أما اليوم فهي لا تستطيع المشي جيدا حتى وهي حافية القدمين!

وظلت على هذه الحال حتى جاء وقت الامتحانات، لم تستطع الحفظ كان تركيزها شبه معدوم.

كانت كلما تحمل كتابها، يذهب ذهنها إلى مكان آخر، لكنها حاولت رغم مرضها المراجعة، فسهرت وأصرّت وتوكلت على ربها. ورغم تعبها وقربها من الإعاقة ذهبت لأداء امتحاناتها، وحاولت الإجابة لم تكن ترى جيدا لكنها حاولت...

جاء وقت الإعلان عن النتائج، ولأول مرة كانت نتائجها ضعيفة مثلما هي ضعيفة.

وهنا أصرت والدتها أن ترافقها إلى طبيب آخر، لأن الأعراض تتفاقم وتزداد. إن "لوسيانا" تسير نحو طريقين في نفس الوقت طريق الإعاقة وطريق العمى..

ذهبوا إلى ذلك الطبيب وقد أصرّ على إجراء «التصوير بالرنين المغناطيسي»..

وما كان على والدتها إلا الخضوع والقبول هذه المرة. لقد وافقت لأنّها كانت ترى بعينيها كيف تذبل الورود.

عندما تغيب الثقافة ويحضر الجهل ويسيطر، فلو أذنت لها بإجراء التصوير بالرنين المغناطيسي لما ضاع عامان من عمرها وهي تبكي وتتألم، أيام وشهور وسنين ضاعت هباءً منثورًا..

لكن «لوسيانا» قالت:

-﴿**وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**﴾..

وبعد سنين من الحيرة، جاء ذلك اليوم الذي سيكشف فيه هوية العدو المجهول.

و لأن مكان الفحص بعيد عن قريتهم ذهبوا في سيارة أجرة بالمسكينة "لوسيانا" التي شعرت بضعف بعضلاتها.. ومنذ صعودها السيارة وهي في حالة غثيان مستمر: قيء وشعور بالنعاس. بقيت تتألم حتى سماعها والدتها تقول:

- «لقد وصلنا»..

نزلت من السيارة وهي تتوكّأ على يد والدتها، دخلت وانتظرت دورها، وأمّها بكلمات طيّبة تمنحها طاقة إيجابية إلى أن جاء دورها فدخلت وهي مرعوبة.

حتما يبدو ذلك الجهاز مرعب، وبصوت مخيف كانت تراه كالوحش ضخما وملامحه قاسية، قال:

- «انزعي كل قطعة حديد من جسمك، فالمعادن ممنوعة، المجوهرات والدبابيس وحمالة الصدر ممنوعة.. وادخلي الحمام لأنّ زيارتك لجهازنا ستأخذ وقتا طويلا».

نظر إليها منبهرا ثم قال:

- «عيناك فتنة يا للجمال القاتل.. اخلعي الرموش المصطنعة من عينيك حتى هي ممنوعة».

قالت "لوسيانا" بصوت منخفض:

- «إنها رموشي؛ هي طبيعية».

وظلت تنظر إلى ذلك الجهاز فقط، كانت تريد الرحيل.. ثم قال لها:

- «استلقي على ظهرك ولا تتحركي، ابقي كجثة داخل تابوت.. ولا حركة يا حلوة».

استلقت وبدأ هو بوضع أشياء غريبة حول وجهها وسدادات حول الأذن، ثم قام بالضغط على زر أخدها إلى عالم آخر حيث الحركة ممنوعة والمكان ضيّق وبارد.

ضجيج مزعج يصدره الجهاز كعجوز يستعمل المطرقة في مكان مهجور، ضيق في الأنفاس.. كانت في لحظة رعب تنتظر نفاد الهواء لكي تغادر هذا العالم..

الوقت يمرّ ويمضي و كل دقيقة تتذكّر "لوسيانا" ما حدث معها من قبل شريط حياتها، كان أمام عينيها إلى أن انتهى، لكـن ذلك الصندوق بالنسبة لها لم يكن مخيفًا لدرجة كبيرة..

لأنّها أحست أن الملائكة معها وأن الخالق يحميها.. كانت تقول في نفسها لمَ أخاف؟ ذلك العدو اللعين استهدفني دون خوف والله سأعرف ما هو.. أنا فتاة رغم ضعفي ومرضي قوية..

ثم ضغط على الزر مرة أخرى، لتعود الروح إلى موطنها؛ وقال لها:

- «انتظري أياما معدودة، ثم ارجعي وستجدين نتائج الفحص جاهزة»..

ظلت "لوسيانا" مع والدتها كأنها في جوف قدر يغلي، منتظرتين اليوم الذي سيكشف فيه ما هو مخبأ لها من مفاجآت..

وأخيـــرا جـــاء اليوم المنتظـــر، وأصبحـت النتيجة في يد "لوسيانا".

لما رأى الطبيب النتائج قال:

- «توقُّعي كان صحيحًا، إنّنا أمام مرض يدعى "التصلب اللويحي"، إنه مرض مزمن، سيبقى معك إلى لآخر رمق.. إن الأسباب غير معروفة والعلاج غير موجود بعد، فكوني مستعدة للتعايش مع المجهول.. فلا تملكين إلا مقاومة المجهول من أجل البقاء»..

ثم قام بإرسالها إلى طبيبة جميلة وراقية في منطقتها فيها الكثير من الإنسانية، استقبلتها بلطف ومودة، ودرست حالتها بدقة.. ثم قامت بسؤالها عن كل عرض، ثم قامت بوخز رجليها لكن «لوسيانا» لم تستجب للوخز، كأنها كانت تحت تأثير مخدّر قوي.. لا إحساس ولا شعور.

قالت لها :

- «حاولي تحريك عنقك»..

لكن "لوسيانا" لم تستطع تحريكه، كانت تشعر بأن عنقها صلب كالحجر، تيبُّس قوي. حاولت لكنها لم تستطع فقط كانت تشعر بالألم.

درست نتيجة الفحص بالرنين المغناطيسي وبقية الفحوصات جيدا، ثم قالت لها:

– «هذا ليس ما يسمى بالتصلب اللويحي.. إنه أخوه صلب وقاسي مثله، إنه "مرض دوفيك". ستدخلين المستشفى لأيام معدودة، وتأخذيـن دواءً سيساعـدك قليلا، فالمرض ليس له علاج»..

عادت "لوسيانا" إلى منزلها، قالت:

– «أنا لم أمكث في المستشفى من قبل لكن من أجل أن أتحسن سأفعل كل شيء متاح».

قامت بجمع أغراض قد تحتاجها في المستشفى، وجهزت نفسها نفسيا وجسديا.

في اليوم الموالي، ذهبت إلى مكان به مرضى، وكل مريض استهدفه عدو مختلف. وعند وصولها وجدت طبيبتها في انتظارها.. أدخلتها غرفة بها مريضتين صغيرتين جميلتين مثلها، إذ كانت ثالثتهما..

قالت لها الطبيبة:

- «سنقوم بفحص البزل القطني للتأكد من المرض.. اجلسي على الكرسي وأنا سأستخرج القليل من السائل النخاعي الموجود في العمود الفقري.. ابقي ثابتة ولا تتحركي».

خافت "لوسيانا" من تلك الإجراءات، وصارت -فجأة- تتعرق، وبدأت تشعر ببرد قاتل وهي ترتعش، كأنها في مكان درجته تحت الصفر..

انتهت الطبيبة لكن خوف "لوسيانا" لم ينتهِ، كانت لا ترى أمامها سوى الظلام..

نادت الطبيبةُ بصوت مرتفع رجلا من أمام باب الغرفة، قالت له:

- «من فضلك احملها وضعها فوق سريرها».

"لوسيانا" المسكينة أحست أنها نقطة النهاية، كانت تبتسم وتنتظر قدوم ملك الموت.

أجل إنه الخوف يقضي على حياة ابن آدم؛ إذا استحضرت الخوف، فإنك استحضرت الموت لا فرق بينهما، لكن الطبيبة قامت بضربها لكي تستفيق ولا تفقد الوعي..

استفاقت «لوسيانا» وغادرها الخوف ببطء..

قالت لها طبيبتها:

- «سأنزع منك القليل من الدم لعمل فحوصات أخرى، لكن هذه المرة لا تخافي فقد أرعبتِنا المرة السابقة يا جميلة»..

جاء الليل وجاءت معه الأفكار السوداء: ما مصير لوسيانا مع هذا المرض ؟هل ستنجو؟ هل سيخونها جسدها ويتركها كما فعل مع أقربائها؟

وفي ليل أسود وأفكار سوداء، قالت لها إحدى شريكاتها في الغرفة:

- «لا تخافي ولا تفكري.. إسمي إليزابيث ماذا عنك؟».

ردت عليها:

- «أنا لوسيانا».

وبدأ الحديث بين فتاتين صغيرتين راقيّتين بفكر ناضج، وبقيتا كذلك حتى جاء النوم يطلب منهما الذهاب إلى عالمه فلبتا دعوته..

في اليـوم الموالي جاءت الممرضة، لتقوم بتقديم الدواء لـ "لوسيانا"، كانت كلما تضع ذلك الترياق تشعر بنعاس شديد، مصحوب بقيء وغثيان لا يتوقفان..

في تلك اللحظات حاولت أن تتحدث مع "إليزابيث" عن الموضة وكل مايخص المرأة لكي تهرب من مرضها ومن الواقع.. وفي الليل جاءت عجوز كبيرة إلى غرفة "لوسيانا" والبنات..

أطالت النظر في وجه "لوسيانا" ثم نزلت دموعها، وراحت تقول:

- «لقد تذكرت ابنتي -رحمة الله عليها وأطال الله في عمرك- لقد كانت بريئة جميلة مثلك، كانت حكيمة رغم صغر سنها، لقد كانت الأقرب إلى قلبي، لكنني فقدتها لقد أخدها المرض منّي إلى عالم آخر».

ثم شرع الجميع بالبكاء.

قالت "لوسيانا" بحرقة:

- «يا ترى إلى أين سيأخذني هذا المرض اللعين؟ يا ترى هل سأنجو؟ أم سأكون صاحبة حظ عظيم؟؟».

ومرت الأيام حتى جاء اليوم الأخير، كانت تنتظر ذلك اليوم، وتترقّب وصوله لأنّها لم تدخل المستشفى من قبل..

ابتعادها عن والدتها كان مؤلما وصراخ المرضى وبكائهم كان أشد ألما. جاءت طبيبتها الجميلة وقالت لها كوني مستعدة ستغادرين بعد قليل.

فرحت "لوسيانا" كثيرا، فهي لم تعد تهتم بالمرض ولا بمصيرها معه، المهم أنها ستعود إلى ديارها.

ودعتها طبيبتها بقولها:

- «لا تخافي أنا معك في كل حالة وفي كل وقت، فقط كوني بخير يا حلوة».

لقد كانت تلك الطبيبة الأنثى الراقية متواضعة، كان هدفها هو أن يتحسن كل مريض يأتيها؛ كانت تستحق صفة الأكثر إنسانية في العالم.. تستحق كل ما هو خير.. سيأتي يوم وستحقق أحلامها.

يقال إن دعوة المريض مستجابة، و"لوسيانا" في كل صلاة تسأله: «أن يا خالقي اجعل أحلامها حقيقة رغما عمَّن في الأرض جميعا.. لأنها كانت أجمل سبب لنعيش بسلام ونحقق أحلامنا».

عادت "لوسيانا" مع والدتها إلى المنزل، ودخلت مباشرة إلى غرفتها. جلست فوق سريرها وهنا عاد إليها الشعور بالانتماء إلى هذا المكان، أحست أنها قد عادت إلى موطنها الأصلي..

قامت بتجهيز حمام جميل مثلما هي جميلة، منفّذة وصايا الطبية. لم تستعمل المياه الساخنة، واكتفت بالماء الدافئ، فالعدو الذي صار رفيقها وأصبحت مجبرة على التعايش معه يحب الحرارة. يجب عليها أن لا تنفذ أوامره أو سيعذبها ويقضي عليها..

انتهت "لوسيانا" وعادت مجددا إلى غرفتها، نظرت لنفسها في المرآة وقالت:

- «الآن أحسست بقيمة الصحة! لديّ عينان ولسان وشفتان ورجلان الآن، ولأن خالقي من ابتلاني فلا يسعني إلا أن أقول من أعماق قلبي: الحمد لله».

هذا المرض غدار تارة يرحل وأصبح أنثى كبيرة واعية في كامل قواي الجسدية؛ وتارة يستهدفني فيخونني جسدي ويرحل مني إليه، لأصبح طفلة صغيرة عاجزة تحتاج لمن يرعاها، أيعقل أن يعيش الإنسان مرحلة الطفولة مرتين؟!

أجل! كل الناس لهم أعداؤهم من البشر إلا أنا عدوي نفسي.. آه منك يا أنا..!

إنه مرض يشبه ذئبا ماكرا، يترقب فريسته من بعيد ثم يهجم عليها، يأكلها قطعة قطعة. لقد أكلني.. عذبني.. لقد دمّرني..».

هجمات وانتكاسات متعددة، كان يرحل عنها فتبرأ وتفرح، وفور إحساسه أنها استغرقت في الحياة ونسيت عذابه، يرجع إليها ويهجم عليها مجددا.

في اليوم الموالي نادتها والدتها للجلوس مع العائلة وتبادل أطراف الحديث معهم؛ لكن "لوسيانا" رفضت لأنها تعلم أن رفيقها الشرير يحب الفوضى..

وحده الهدوء يجعله مهانا صامتًا، وإن فعلت ما يحب، سترى ما لم تره من قبل. تلك الأصوات المرتفعة تجعله يرقص في جسد "لوسيانا" فرحا، يجمع كل الأعراض في بدنها من أجل جلسة عائلية واحتساء زجاجة من دموعها..

كانت مستعدة للتخلّي عن كلّ ما هو جميل، إذا كان هذا الرفيق العدوّ يحبه.

في اليوم الموالي ارتفعت حرارة الجو، خافت "لوسيانا" على نفسها فقامت بغلق شباك الغرفة، وأشعلت المكيّف الهوائي، لكيلا يتسلل إليها ذلك الوحش فينهشها بأنيابه.

كأنها أحسّت أن رفيقها يقول بسخرية:

- «الجلوس قبالة الشمس واستقبال أشعتها المريحة أمر ينغّص عليّ نومي، ودرجات الحرارة المرتفعة تجعلني نشيطا وتمنحني طاقة غريبة لأدمر جسدك».

كانت المسكينة كلما تقلّل ساعات نومها، تشعر في اليوم الموالي أن أعراض المرض عادت في أسرع وسيلة نقل.

رفيقها الشرير الوفي الذي وعدها أنه سيبقيان معا العمر كله يحب الأجسام المنهكة، ويهوى "لوسيانا" حين تكون متعبة، فيأتي لزيارتها حاملا معه هدايا من أعراض لئيمة..

اتبعت وصايا طبيبتها التي أخبرتها:

- «في الصباح الباكر عليك بالرياضة، وأوصيك بنظام غذائي معين. كوني حذقة مثل المرض تماما، هو اختارك من بينهم جميعا، وأنت اختاري ما يجعله نادمًا لأنه اختارك».

أصبحت "لوسيانا" تتواصل مع أشخاص لديهم نفس مرضها، لتعرف منهم طريقة تعايشهم مع هذا المرض وكيف فعلوا للتقليل من حدته وأعراضه. هي أصبحت تعلم أنه رفيق شرير لكنه وفي سيبقى معها إلى آخر عمرها..

وفي كل مرة يهجم عليها، كانت تدخل المستشفى لتلقي علاج يجعلها قادرة على التحدي، وخوض تلك الحرب الصامتة القاسية.

إنّ التعايش مع هذا المرض أمر صعب، لكن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها. إنه عدو يحمل كل أنواع الأسلحة الفتاكة، وهي أنثى مسالمة لا تملك لا ترياق ولا دواء، فقط تحدته بوعيها ونضجها.

هي الآن تعيش حياة جديدة مع رفيق جديد، علّمها أشياء مختلفة؛ أهمها: أن المرض مثل طفل صغير لجهله وعدم نضجه يلوّث أوراقه البيضاء بأقلامه الملونة، ثم يقوم بمسح ما فعل بممحاة صغيرة.

كذلك ابن آدم يرتكب معاصٍ وأخطاء كبيرة ليلوث صفحة حياته، فيأتي المرض ليمسّح كل الذنوب ويخفف عليه ما فعل. المرض هو ممحاة تمسح كل ما هو خاطئ، لترجع صفحة الحياة بيضاء جميلة.

إن الخالق إذا ابتلاك بالمرض فسيمنحك صبر أيوب، فقط تحمّل **"ضربات الكون"** لأنك لو اطلعت على الغيب ستجد أن تلك الضربة هي خير لك، هي مفتاح لبوابة خلفها خير كبير.

* * *

جوري والأسد

في غابة كبيرة، كان هناك منزل صغير لعائلة فقيرة، تقطن به امرأة عجوز مع حفيدتها "جوري" التي ترتدي فستانا أبيض وقبعة بيضاء لا تنزعها أبدا..

فأصبحت تلقب بصاحبة القبعة البيضاء..

"جوري" كانت تملك حمامة جميلة تدعى "جالو"، تتحدث معها كلما أرادت، ثم تخبئها تحت قبعتها..

إنّه سر بينهما حتى جدتها لا تعلم بذلك..

وفي يوم من الأيام، كانت "جوري" في غرفتها، أحسّت أن قبعتها تتحرّك فوق رأسها، كأن "جالو" تريد الخروج لتخبرها بأمر ما..

نزعتها وأخرجت الحمامة..

قالت لها:

- «لدي خبر مهم! يقال إن في الغابة أسدًا قويًّا، يعرف كل أنواع الحيوانات بأسمائهم، ويعلم ما يحبون وما يكرهون إنّه معلّم مشهور».

فرحت "جوري" كثيرا بهذا الخبر وهرولت مسرعة إلى جدتها، لتخبرها:

- «أريد الذهاب إلى الغابة لكي أقابل ذلك الأسد، وأتعلّم كلّ أمر يخص الحيوانات. فنحن يا جدتي في غابة كبيرة بها حيوانات كثيرة، ويجب أن أتعرف عليها، وذلك الأسد سيساعدني»..

قالت لها جدتها:

- «يا حفيدتي! لا تخرجي إلى الغابة بمفردك، فأنت فتاة صغيرة، وبالخارج حيوانات خطيرة.. أخاف عليك كثيرا من أن تفترسك»..

غير أنّ جوري أصرّت على الذهاب، وحاولت إقناع جدّتها حتى وافقت على طلبها..

وفي اليوم الموالي استيقظت جوري مبكرا، وحضرت أوراقها وأقلامها وأغراض قد تحتاجها في مهمّتها تلك..

في حين حضّرت جدّتها لها الرغيف الذي تحبّه وأوصتها للمرة الأخيرة:

- «احذري يا حفيدتي من تعويذة «أوكالا»، إنها خطيرة، ولا يجيدها أحد في الغابة سوى ملوكها، ونحن على علم أن الأسد هو ملك هذه الغابة»..

ثم قبّلت حفيدتها وودعتها وقالت لها:

- «عودي قبل غروب الشمس، لأن التعويذة تصبح فعالة أثناء الغروب.. إلى اللقاء عزيزتي»..

خرجت "جوري" من المنزل، وهي تمشي ببطء متّجهة إلى "سيثكي"، إنّه مكان في الغابة حيث يوجد ذلك الأسد..

وصلت "جوري" بسلام، وجعلت تنظر يمينا ويسارا، لم تتعرّف على المكان، فكل شيء يبدو غريبًا بالنسبة لها.. كانت هناك قطّة وردية تبيع الفجل، تقدمت نحوها وسألتها عن عرين الأسد..

قالت لها:

- «إنه يلقي المحاضرات في ذلك القصر، فلا تخافي إنه مكان يبدو مهجورًا من الخارج لكن توجد بداخله كائنات كثيرة»..

ردت عليها:

- «شكرا لك، سأدخل على الفور»..

دخلت "جوري" القصر.. نظرت في الحاضرين، فوجدت كثيرا من البنات وعددا أكثر من الحيوانات..

الكلّ لديه فضول لمعرفة خبايا حيوانات الغابة..

ثم أدارت عينيها للمعلم وقالت له:

- «يا له من أسد قوي ومغرور، فنظرة عينيه ناحيتها فيها جاذبية، لقد استرعى إعجابي حقا»..

و يا للصدفة، كان الأسد ينظر إليها ويقول في نفسه:

- «يا لها من فتاة أنيقة وجميلة.. لقد اعجبتني حقا»!

جلست "جوري" على الكرسي وسمعت محاضرته، وعند اقتراب غروب الشمس خرج الكل مسرعا.. إلا "جوري" التي طلب منها الأسد البقاء وكتابة معلوماتها الشخصية لأنها طالبة جديدة، ومن ثَمَّ زاد أن طلب منها أن تقوم بترتيب أوراقه..

لقد كان محتالا ذكيًّا..

عنـــد الغـروب قام بإخراج زجاجة سوداء صغيرة من جيبه وتمتم بكلمات غريبة، ثم وضعها في حقيبة "جوري" خفية عنها..

وفجأة تحركت قبعتها، فقامت "جوري" بالصراخ:

- «يا إلهي لقد أوصتني جدتي أن أعود إلى المنزل قبل غروب الشمس»..

ثم حملت حقيبتها التي ستجعل أيامها القادمة بائسة، وعادت إلى المنزل مسرعة..

أما الأسد فبقي يبتسم ابتسامة فيها غدر وحيلة، أجل! لقد طبق التعويذة على "جوري" بنجاح..

وصلت "جوري" إلى المنزل فوجدت جدتها تنتظر والنعاس يكاد يكتسحها؛ قالت بصوت منخفض:

- «جوري! لقد عدت يا جدتي»..

غضبت الجدّة كثيرا، وقامت بتوبيخها لأنّها لم تلتزم بالوقت.. قالت لها بصوت مرعب:

- «لن تذهبي عند ذلك المعلم مجدّدا، إنها آخر مرّة يا "جوري" تقصدين عرينه.. لا تحاولي التمرد على كلماتي»..

دخلت "جوري" غرفتها والحزن يتملّكها، قامت بنزع قبعتها وإخراج حمامتها.. لكن هذه المرة لم تتحدث معها كما هي العادة..

كانت تفكر في ذلك الأسد.. إنّه لم يفارق مخيلتها..

وتمضي الأيام و"جوري" تغرق أكثر في بحر ذلك الأسد..

وفي إحدى الليالي قالت لها "جالو" بصوت حزين:

- «لقد تعبتِ من التفكير به ليلا ونهارا»..

ثم ردت "جوري" المسكينة قائلة:

- «قسما بربي رغما عنّي أفكر فيه ولا نية لي في ذلك»..

ثم قالت لها حمامتها:

- «اذهبي إليه خفية وأخبريه أنّه أصبح كالروح لا يفارق جسدك»..

فكرت "جوري" كثيرا، ثم قررت الذهاب إليه..

وفي صبيحة إحدى الأيام، ذهبت الجدة عند جارتها لخياطة بعض الملابس.. استغلت جوري غيابها والتحقت بـ"سيثكي"..

وعند وصولها وجدت المعلم عند باب القصر هناك، فاقتربت منه بخطوات ممزوجة بالخوف والتردد ثم ألقت السلام عليه لكنه قابلها بكل غرور وتكبر:

- «من انت؟»

- «حقا لم تعرفني؟»

- «لا أظن أنّني رأيتك من قبل».

لقد كان محتالا حقيرًا، وكاذبًا يتلاعب بالكلمات، ولأن "جوري" هي فتاة طيبة بريئة، فقد أخبرته بمشاعرها وبكل أحاسيسها تجاهه، ولأنه مخادع قام برفضها..

قالت له:

- «أنا لم أعرض حبّي عليك لترفضني، أنا فقط أردت إخبارك بما أشعر»..

قال لها:

- «أنا ملك الغابة، مرغوب من كل أنثى، ما إن تراني تعشقني، فأنا أملك أجملكن جميعا، وأحبها حبا جمّا»..

ما يزال يتلاعب بالكلمات، لقد أبان عن هدفه بأن تشعر جوري بالنقص تجاهه. كان يدرك أنها أنقى منه بكثير، لذا قام بالتقليل من شأنها لإرضاء غروره..

لقد كان مريضا نفسيا يلقي التعويذة على كل أنثى يجدها جميلة؛ فهل سيكون مصير "جوري" مثل بقية ضحاياه؟ هل ستُبطل التعويذة وتنجو من مكره؟؟؟

بعدها عادت إلى منزلها، وراحت دموعها تنزل على وجنتيها، ولم تتوقف عن توبيخ نفسها لذهابها إليه بمحض إرادتها، لقد بكت كأمطار غزيرة نزلت على قرية لتعلن غضب الرب..

أما ذلك الأسد فقد كان مفتخرا بنفسه، وكيف قام بالتقليل من شأن أنثى راقية مثلها..

أصبحت "جوري" في حيرة من أمرها، وحمامتها لم تعد تفهم شيئا..

قررت "جالو" بينها وبين نفسها أن تخبر جدتها بكل ما حصل؛ هي عجوز مسنّة أكيد أنها ستكون أكثر خبرة وأعمق حكمة، وستحلّل معي هذا الأمر الغريب لنفهم ما الذي يحدث..

ذهبت "جالو" إلى غرفة الجدّة، فهرعت الجدّة إلى شبّاك الغرفة وفتحته وحاولت طردها خارجا..

وفجأة صرخت "جالو" قائلة:

- «أنا أريد التحدث معك في موضوع مهم»..

ثم قالت الجدة وهي متوترة:

- «أي موضوع هذا؟»

- «إنه موضوع بخصوص "جوري"»..

- «هل تعرفين "جوري"؟ ومن اطلعك على هذه التفاصيل الخاصة بها؟»

- «يجب اليوم أن أخبرك بكل شيء.. جوري دائما ما ترتدي قبعة على رأسها.. إنّه خمّي الذي تخفيني تحته».

- «سؤالي.. لمَ أخفت جوري عني هذا الموضوع».

- «لقد خفنا من أن تطردينا.. لكن ليس هذا هو الموضوع المهم.. إنّ «جوري» أيتها الجدة حزينة، منذ ذهابها إلى الأسد وهي حزينة.. إنها تفكر فيه ليلَ ونهار.. أعتقد أنّها متعلقة به إلى حدّ كبير».

- «حقا! لقد لاحظت أنها تغيرت كثيرا، فهي لم تشرب فنجان قهوتها بقطعة السكر منذ زمن، ولم أسمع صوت ضحكتها من أيّام..».

سكتت الجدّة قليلا ثم واصلت حديثها:

- «أعتقد أن ذلك الأسد ألقى تعويذة "أوكالا" على "جوري".. ساعديني أيّتها الحمامة لكي نجد التعويذة ونقوم بإبطالها».

ذهبت الجدة إلى غرفة "جوري" وراحت تحدثها:

- «يا حفيدتي! اذهبي عند بائع الحليب وقدمي له هذا الرغيف معبرة له عن احترامنا وتقديرنا، لأنه دائما يقدم لنا الحليب بسعر منخفض».

ردّت عليها جوري:

- «حسنا يا جدتي سأذهب».

ذهبت المسكينة مسرعة، وبمجرد مغادرتها قامت الجدة بفتح خزانتها والبحث عن التعويذة، إلا أنّها لم تجدها.. ثم قالت في نفسها:

- «سأنقب عليها في حقائبها».

بحثت كثيرا حتى وصلت إلى حقيبة سوداء جميلة، وبمجرد فتحها سقطت منها زجاجة.. حملتها الجدة ثم تبسمت وقالت:

«أجل إنها التعويذة لقد وجدتها»!

ثم أعطتها للحمامة وقالت لها:

«اذهبي إلى الوادي وارميها هناك.. وبإذنه ستبطل التعويذة».

عندها غادرت "جالو" إلى الوادي، وما إن قامت برميها حتى تحوّل لون الوادي إلى السواد. أجل لقد قامت تلك المياه العذبة الصافية بامتصاص مكيدة الأسد السلبية.

في المساء عادت "جوري" إلى المنزل في وقت متأخر، ولم تتناول الطعام، كانت تريد النوم فقط.

وفي الصباح الباكر، كان الكل نائما، وبدأ جرس المنزل في الرنين. قالت جوري:

- «من هذا الأحمق الذي أيقظني في هذا الوقت المبكر؟».

قامت لفتح الباب، ولم تتوقف عن التثاؤب الذي سيطر عليها، فتحت البوابة فوجدت ذلك الأسد ينظر إليها نظرة مسكين نادم..

قالت "جوري":

- «مستحيل أكيد أني أتخيّل»!

قامت بفرك عينيها جيدا، لتدرك أنّ ذلك الأسد هو حقيقة..

قال لها مبتسما:

- «صباح الخير.. هل أنت بخير يا حلوة ؟».

- «الحمد لله.. لمَ أنت هنا؟».

- «لا أعلم سببا لمجيئي! كل ما أعرفه أني اشتقت إليك!».

- «كيف هذا؟ قلت لي في أحد الأيام أنك لم تعرفني وأنك تملك أجملهن»..

- «ربما تكبري وغروري جعلني أتلفظ بتلك الكلمات القاسية.. أنا أريدك.. هل توافقين؟!!»

خلال كل ذلك كانت الجدة خلف الستار، تتابع بصمت ما يحدث.. ابتسمت وقالت:

«تعويذة أوكالا تقول إنه إذا قام شخص باستعمالي لهدف معين سأنفذه رغما عن العالم، أما إذا تمّ إبطالي فسينقلب السحر على الساحر.. فالبارحة أُبطِلت التعويذة، واليوم جاءها هذا الأسد مثل طفل صغير يبحث عن أمه»..

نظرت "جوري" في عينيه بدقة ثم قالت:

«لا! لن أقبل بك.. بالأمس القريب ألقيت بالعالم خلفي، وجئتك وأنا كلّي رغبة بك؛ أما اليوم فأنا لا أريدك.. ارحل بعيدا أيها الأسد.. فبيننا اختلافات كثيرة..».

اندهش الأسد لأنها قامت برفضه، فهو ملك الغابة الذي لا يجرؤ أحد على قول كلمة "لا" له؛ وهنا استشاط غضبا وهجم عليها وطوّقها بأنيابه ومخالبه، وقال:

- «إما أن تكوني ملكي أو مِلك مَلك الموت!».

وضع أنيابه على عنقها حتى سالت قطرات من الدم. كانت الجدة تراقب ما يحدث.. فذهبت مسرعة لإحضار شبكة كبيرة، فلما رآها الأسد أفلت الفتاة، فألقتها عليه ليجد الأسد نفسه أسيرا مرتين، في شباك الجدة وفي هوى الفتاة.

ثم ذهبت الجدة عند "جوري" وقامت باحتضانها بشدّة، وقالت لها:

- «هذا اللعين ألقى عليك تعويذة أوكالا.. والكون يا حفيدتي عادل، لذا انقلب سحره عليه.. لقد جنى وبال ما فعل. سيبقى محجوزا داخل هذا الشباك، وسيفكر فيك ليلا ونهارا، يبكي ويتألم حاصدا ثمرات ما زرع».

ردت "جوري":

«كلانا مختلفان كثيرا، هو من صنف وأنا من صنف آخر.. شكرا لك يا جدتي؛ لقد أنقذت حياتي للمرة الثانية».

لقد عاشت "جوري" بسلام برفقة كل من جدتها وحمامتها، ومن ذلك اليوم لم تفارقها الابتسامة؛ أما ذلك الأسد فبات حزينًا بائسًا، ومسجونًا داخل تعويذة أوكالا.

هناك قانون في هذا الكون؛ كل شيء تفعله سينعكس عليك يوما ما، شرا كان أم خيرا، وربّ الكون عادل حاشاه أن يظلم عباده..

القصة خيالية وشخصياتها خيالية وكل أحداثها من ضرب الخيال لكن المغزى حقيقي والفكرة العامة حقيقية وكل معانيها الخفية من ضرب الواقع..

وراء الخيال حقيقة.. وربما خلف الحقيقة نجاة من ضربةِ كونٍ قاسيةٍ، كانت ستقودك إلى طريق الهلاك البطيء..

* * *

ض: ضعيفٌ ابن آدم أمام القدر ورغبته، لكنه كلّما تذكّر أن الخالق معه، وأنه لن يرضى له الأذى، سيصبح أقوى محارب في تلك المعركة..

ر: ربّما ستبقى صامتًا في الأوقات الأولى؛ لكنك حتما ستتمرد، ولن ترضى بضربات متتالية. ستثور وستتحدى، لتصبح مثل أمّ تصارع وتقف أمام كل ضربة كستار لتحمي أطفالها.

ب: باب يغلق وآخر يفتح، وكلّها أبواب في غابة؛ سيأتي يوم وتحترق أشجارها، سيبقى فقط آخر باب في مكان نقيّ، خلفه كلّ ما هو جميل. إذا كنت تملك المفتاح فقد فزت على الضربة الأقوى..

ا: احذر من أن تفقد ثقتك بنفسك، فأنت تستطيع، أنت الأفضل، أنت سيّد البقية؛ امسح عرقك، وقم مجددا، أنت الآن -وفي هذه اللحظة- مستعد لتسترجع لنفسك حقّها، لا تتركها مهانة هيّا قم يا بطل!

ت: تبًّا لمن يحتقرك، وتبًّا لمن يمنحك كلمات تقلّل من ذاتك، تبًّا لكلّ البشرية إن كانت لا تدعمك؛ فقط الاحترام والتقدير لك!

ا: أنا أحب ذاتي.

ل: لست أقبل بالقليل.

ك: كائن مميّز أنا.

و: وعد منّي إليّ أن أقدسني.

ن: نبضات قلبي دائما تتسارع، لتحفزني على إكمال الطريق.

* * *

الفهرس

توطئة 05

الطفولة البائسة 07

مرض دوفيك 31

جوري والأسد 61

الفهرس 79

لميس عيّاشي

ضربات لاترحم

تبدو الحياة كلعبة من جولات متعدّدة، تبدأ الجولة الأولى وأنت جاهز متأهب، تحمل معك كل الأسلحة المتاحة لتواجه أعنف تحد، ضربات الكون القاسية.

وبعد صراع مرير تخرج من تلك الجولة تتصبب عرقا، ويقطع الإرهاق أنفاسك، تقف على قدميك مرتعشا من فرط ما لاقيت وتحملت.

صحيح أنك انتصرت، إذ الهدف من تلك الحرب هو أن تتعلم درسًا من دروس هذا الكون، لتصبح أنضج وأكثر حكمة..

لتدخل مجددا في حرب أخرى وتتلقى دروسا تلو أخرى، لتستمر الضربات فيتعلم الشخص الأقوى الدرس الأصعب!

نسمة للنشر والتوزيع
5 نهج سابقي أحمد سيدي مبروك قسنطينة
EDITIONNESSMA@GMAIL.COM +213777759052

ISBN 978-9931-9901-7-8